المحور الرابع
صفات الجندي المسلم
في ضوء
القرآن الكريم



دروسٌ تربويةٌ في الجُنْدِيَّةِ في سُورةِ الأنفالِ

أ.د. غانم قدوري الحمد

كلية التربية - جامعة تكريت





مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والعاقبةُ للمتقينَ، ولا عدوانَ إلاَّ علــى الظــالمينَ ، والــصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحابتهِ أجمعينَ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أَمَّا بعد:

فإنَّ سورة الأنفال جاءت متميزة في موضوعها ، كما أنها جاءت متميزة فــي أســلوبها وبنائها اللغوي ، فالسورة نزلت بعد غزوة بدر الكبرى ، التي وصفها الله تعالى بيوم **(الفُرْقَانِ)** وكانت إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة إلى دين الله تعالى ، وتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، وقد سجَّلت السورة ذلك الحدث العظيم في تاريخ الإسلام بأبعاده الروحيــة والمادية ، وأحكامه الفقهية والتربوية ، حتى أطلق عليها المفسرون اسم سورة بدر.

والمتأمل في البناء اللغوي للسورة يلاحظ تميزها بعدد من التراكيب البيانية التي تناسب جو السورة الذي يهدف إلى بناء الجماعة المسلمة وإعدادها لمواجهة الجــولات القادمــة مــع معسكر الشرك والكفر ، فغلب على السورة الأسلوب الخطابي الذي يُذْكي الحماسَ في النفــوس ويَحْمِلُها على الصمود بوجه صولات الأعداء ، ويدفعها إلى الإقدام لتشتيب جموعهم.

وقد أدرك الصحابة _ رضوان الله تعالى عليهم _ ما لهذه السورة من أثر فــي الثبــات وإذكاء الحماس في نفوس المقاتلين حتى سَمَّوْهَا سورة الجهاد، وصاروا يتلونها إذا اشتد الكرب وحمى الوطيس.

والأمة في أوقات ضعفها وتَغَلُّبِ أعدائها عليها أحوجُ ما تكون إلى ما يَشُدُّ مــن عــزم جنودها، ويقوِّي معنويات أبنائها، وليس مِثْلُ القرآنِ دواءً لهزال الأرواحِ وخَوَرِ العزائم، وليس مثلُ السيرة النبوية مدرسةً تُرَبِّي المؤمنين على معاني العزة والتضحية، ولا شكَّ في أن الجانب التربوي في القرآن الكريم والسيرة النبوية أوسعُ من أن يستوعبَه بحثٌ أو يَضُمَّهُ كتابٌ.

وقد يكون من المفيد البحث عن المعاني التي تضمنتها سورة الأنفال وجَعَلَتْ قادةَ جيوش الفتح يحرصون على تلاوتها على كتائب الجند وهي تستعد لمنازلة الأعداء في معارك اليرموك والقادسية ، وغيرها من معارك الإسلام المجيدة وأسهمت في تحقيق الانتصار، وهو ما ســوف أحاول تسليط الضوء عليه في هذا البحث ، من خلال استخلاص عدد من الــدروس التربويــة والمواعظ الجهادية التي تضمنتها هذه السورة.

ويتألف هذا البحث بعد المقدمة من تمهيد ومقصد وخاتمة، أما التمهيــد فأتنــاول فيــه التعريف بالسورة ونزولها، وأسلوبها، وبيان السُّنَّةِ في تلاوتها على الجند في سوح المعارك.



وأما المقصد فيتألف من مبحثين:

الأول: بيان مظاهر مَعِيَّةِ اللهِ تعالى للمؤمنين.

والثاني: مُقَوِّمَاتُ النصر ومُعَوِّقَاتُهُ.

وتتضمن الخاتمة أهم نتائج البحث.

وسوف أتخذ من آيات سورة الأنفال محوراً لهذه الدراسة، وقد أستشهد بآيات من سُوَرٍ أخرى لها علاقة ببعض موضوعات السورة، وقد اقتبس بعض أحداث غزوة بدر التي توضح جانباً من موضوعات السورة ، مماورد في كتب التاريخ والسيرة وكتب الحديث النبوي الشريف.

وفي السورة آياتٌ كانت مدارَ نقاشٍ فِقْهِيٍّ ، مثل أحكامِ الأنفال والغنائم وقِسْمَتِهَا، والأسرى وأحكامهم، والسلم والحرب بين المسلمين وغيرهم ، ولا يتسع البحث لتتبعها والحديث عنها ، كما أنه يضيق عن استيعاب كثير من المسائل التي وردت في السورة ، فهذا البحث ليس تفسيراً شاملاً للسورة، وإنما هو بحث عن مظاهر التأييد الإلهي للمؤمنين ، ومتى يستحق المؤمنون ذلك التأييد.

أسال الله تعالى التوفيق في استخلاص هذه الدروس التربوية والمواعظ الجهادية من سورة الأنفال، والتعبير عنها بأوضح عبارة، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها ، فإن كان ذلك فبفضل الله تعالى، فالحمدُ له والشكرُ، وإن لم يكن فبتقصيري وعجزي، أستغفره وأتوب إليه، هو حسبي ونعم الوكيل .

تكريت

١٤٢٧/١٢/٢٨هـ

٢٠٠٧/١/١٦م



تمهيد

تعريف بسورة الأنفال

لكل سورة في القرآن موضوعاتها وطابعها الخاص بها, وأحسب أن من المفيد هنا الحديث عن عدد من الأمور المتعلقة بسورة الأنفال, وأهمها:

١. اسم السورة وأسباب نزولها.

٢. موضوعات السورة.

٣. أسلوب السورة وبناؤها اللغوي.

٤. قراءتها لتثبيت المقاتلين.

(١) اسم السورة وأسباب نزولها:

سُمِّيَت سورة **(الأَنفَال)** لذكر الأنفال في أول آية فيها, وهي: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ وكثيراً ما تسمى سور القرآن بما يذكر في أوائلها, أو ما يرد فيها.

وقد سمَّاها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، سورة بدر, قال سعيد بن جبير(ت٩٥هـ): (قلتُ لابن عباس: سورةُ الأنفال: قال: تلك سورة بدر)[١], وفي رواية: نزلت في بدر[٢].

وسمَّاها الطبري: سورة الجهاد[٣].

قال محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: (وقد اتفق رجال الأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر, قال ابن إسحاق: أُنزلت في أمر بدرٍ سورةُ الأنفال بأسرها[٤], وكانت غزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة , بعد عام ونصف من يوم الهجرة, وذلك بعد تحويل القبلة بشهرين.

وكان ابتداء نزولها قبل الانصراف من بدر, فإن الآية الأولى نزلت والمسلمون في بدر قبل قسمة مغانمها ... والظاهر أنها استمر نزولها إلى ما بعد الانصراف من بدر)[٥] .

وتشير كتب التفسير والحديث والسيرة إلى سبب نزول السورة: أن نفوس أهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع في نفوس البشر من إرادةِ الأَثَرةِ والاختصاص[٦], وعَبَّر عن ذلك الصحابي الجليل عبادة بن الصامت ﵁ بقوله: (فينا أصحاب بدر نزلت, حين اختلفنا في النَّفَل

(١) رواه مسلم (رقم الحديث ٣٠٣١ ص ١٢١٢), وينظر: السيوطي: الإتقان ١٥٥/١, وابن عاشور: التحرير والتنوير ٥/٩.

(٢) رواه البخاري (رقم الحديث ٤٦٤٥ ص٨٨٥), وينظر: ابن تفسير كثير: ٢٧٠/٢، والسيوطي: الدر المنثور ٣/٩.

(٣) تاريخ الطبري ٥٣٦/٣ و٣٩٧ .

(٤) ينظر: السيرة النبوية ٦٦٦/١ .

(٥) التحرير والتنوير ٥/٩ .

(٦) أبو حيان: البحر المحيط ٤٥٥/٤ .



وساءت فيه أخلاقنا, فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله, فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بَوَاءٍ, يقول: على سواء, فكان في ذلك تقوى الله, وطاعةُ رسولهِ, وصلاحُ ذات البَيْنِ)[٧].

ويوضح ما وقع بين الصحابة حول الغنائم ما جاء في الرواية الأخرى: حتى كان الليل وفَاءَ الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حَوَيْنَاهَا وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب ،وقال الذين خرجوا في طلب العد: لستم بأحق بها منا، فنحن نَفَيْنَا العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخِفْنَا أن يُصيبَ العدوُّ منه غِرَّةً واشتغلنا به، فنزلت: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ** ﴾ [الأنفال: ١] ، فقسمها رسول الله ﷺ على فَوَاقٍ بين المسلمين[٨], أي بالتساوي بينهم[٩].

ولما كانت سورة الأنفال قد نزلت بعد غزوة بدر فإن العلماء جعلوها في السور المدنية التي نزلت بعد الهجرة , بل هي من أوائل ما نزل في المدينة, فلا يتقدمها بالنزول إلا سورة البقرة[١٠].

واستثنى بعض العلماء منها قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ [الأنفال:٣٠] إلى آخر سبع آيات منها, فقيل: إنها نزلت بمكة[١١], وهذه الآيات نزلت في قصة تآمر المشركين على رسول الله ﷺ قبل الهجرة, والأصح أنها نزلت في المدينة[١٢]، قال ابن عطية: (وهذه الآية نزلت في قصة وقعت بمكة ، ويمكن أن تنزل الآية في ذلك في المدينة)[١٣].

(٢) موضوعات السورة:

يمكن القول إن سورة الأنفال عالجت موضوعاً واحداً يدور حول أحداث غزوة بدر الكبرى وما يتعلق بها، وقد يجد المتتبع لآياتها بعض الموضوعات الجانبية ذات الامتدادات التاريخية القريبة والبعيدة إلا أنها ترتبط في النهاية بموضوع السورة.

كانت غزوة بدر الكبرى حدثاً عظيماً في تاريخ الإسلام ، ودرساً عميقاً للمؤمنين في كل زمان ومكان ، وهي أول معركة كبرى يخوضها المسلمون في عصر النبوة ضد المشركين ، وكتب الله لهم فيها النصر، وكان نصراً خارقاً، فقد خرج رسول الله ﷺ بثلاث مئة وبضعة عشر

---

[٧] مسند الإمام أحمد (رقم الحديث ٢٣١٣٣ ص١٦٧١), والطبري: جامع البيان ١٧٢/٩ وتاريخه ٤٥٨/٢, وابن العربي: أحكام القرآن ٢٠٣/٢ , والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٦٠/٧، وتفسير ابن كثير: ٢٧١/٢.

[٨] مسند الأمام أحمد (رقم الحديث ٢٣١٤٢ ص١٦٧١), والواحدي: أسباب النزول ص١٧٣, وتفسير القرطبي: ٣٦٠/٧ .

[٩] ينظر: أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢٦٩/٢ .

[١٠] ينظر: ابن الضريس: فضائل القرآن ص٣٤ , والسيوطي: الإتقان ٢٧/١ .

[١١] ينظر: ابن العربي: أحكام القرآن ٣١٣/٢, والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/٧, والسيوطي: الإتقان ٣٩/١.

[١٢] ينظر: البغوي: معالم التنزيل ١٩١/٢ ، وابن عطية: المحرر الوجيز ص ٧٧٤.

[١٣] المحرر الوجيز ص ٧٧٤.



رجلاً من أصحابه، على سبعين بعيراً وفرس واحدة، يتعرضون لعير قريش التي يقودها أبو سفيان عائدة من الشام، وفيها أموال قريش، وشاء الله تعالى أن تسلم العير ويقابل جيش المسلمين جيش مشركي مكة الذي خرج لإنقاذ العير، وهو بعُدَّةٍ كاملة، وعَدَدٍ يبلغ ثلاثة أضعاف جيش المسلمين.

وتقابل الجيشان في أرض بدر، وعبَّأ رسول الله ﷺ أصحابه، وحَثَّهم على القتال، وبات يدعو الله – عز وجل – في ليلة المعركة، ويُلِحُّ في الدعاء، فنزلت عليه وعلى أصحابه بشائر النصر، فانصدع جيش المشركين حين التقى الجمعان في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من الهجرة فولَّوْا هاربين، والمسلمون في أثرهم يقتلون ويأسرون ، فقتلوا سبعين وأسروا سبعين، وغنموا ما في معسكر المشركين ونزلت سورة الأنفال في إِثْرِ ذلك(١٤).

ويمكن تلخيص موضوعات السورة في شطرين، الشطر الأول يبدأ بأول السورة، وينتهي بالآية الأربعين، ويبدأ الشوط الثاني بالآية الحادية والأربعين وينتهي بآخر السورة، ويلمح المتأمل في السورة أن الشطر الأخير منها يكاد يكون مماثلاً في سياقه وترتيب موضوعاته للشطر الأول منها، ومع انتفاء التكرار بسبب تجدد الموضوعات إلا أن ترتيب هذه الموضوعات في السياق يكاد يجعل هذا الشوط دورة، والشوط الأول دورة، وبينهما هذا التناسق العجيب، وهذه خلاصة ما في السورة من موضوعات(١٥).

بدأ الشطر الأول بالحديث عن الأنفال وتنازعهم عليها، فردَّها إلى الله والرسول، ثم دعاهم إلى التقوى، وبيَّن لهم حقيقة الإيمان ليرتقوا إليها، ثم كشف لهم عن تدبير الله وتقديره في الموقعة التي يتنازعون أنفالها مستحضراً جانباً من مواقف المعركة، ثم أهاب بهم إلى الثبات عند الزحف، وطمأنهم إلى نصرة الله ومعيته، وإلى تخذيل الله لأعدائهم وأخذهم بذنوبهم، ثم حذَّرهم من خيانة الله وخيانة الرسول وفتنة الأموال والأولاد، وأمر الرسول ﷺ أن يُحَذِّرَ الذين كفروا عاقبة ما هم فيه ، وأن يقبل منهم الاستجابة – لو استجابوا – ويكل خبيئتهم إلى الله، وأمر المسلمين أن يقاتلوهم إن تولوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وكذلك يسير الشطر الثاني: يبدأ ببيان حكم الله في الغنائم، بعد أن ردَّها إلى الله ورسوله، ثم يدعوهم إلى الإيمان بالله وما أنزله على عبده يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، ثم يكشف لهم عن تدبير وتقديره في الموقعة التي جاءت بهذه الغنائم، ويستحضر جانباً آخر من مواقف

(١٤) تنظر تفاصيل معركة بدر: ابن هشام: السيرة النبوية ٦٠٦/١-٦٦٦ ، والواقدي: المغازي ١٩/١-١٧٢ ، وأكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣٥٤/٢-٣٧٣.

(١٥) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن ١٥١٥/٣-١٥١٦ ، وينظر: ابن عاشور: التنوير ٧/٩.



المعركة ومشاهدها، ثم يهيب بهم من وراء ذلك إلى الثبات عند اللقاء، وإلى ذكر الله، وطاعته وطاعة رسوله، ويحذِّرهم التنازع مخافة الفشل والانكسار، ويدعوهم إلى الصبر، وتجنب البطر والرياء في الجهاد ويحذرهم عاقبة الكفار الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله، ويدعوهم إلى التوكل على الله وحده، ثم يريهم سُنَّةَ الله في أخذ الكافرين المكذبين بذنوبهم، وكما ذكر الملائكة في الشطر الأول وهم يثبتون المؤمنين ذكرهم هنا وهم يَتَوَفَّوْنَ الذين كفروا، وكما قال في الشطر الأول عن الذين كفروا: إنهم شر الدواب كذلك كرره هنا، ثم يدعو المؤمنين إلى إعداد القوة لإرهاب العدو، والتأكيد على أن الله سبحانه هو الكافي لرسوله وللمؤمنين، مع الدعوة إلى الصبر عند لقاء العدو، وتتطرق السورة إلى الأسرى وما ينتظرهم من المغفرة إن هم آمنوا، وختمت السورة ببيان الولاية الكاملة بين المؤمنين، كما أن الكافرين بعضهم أولياء بعض، والحث على عدم التهاون في ذلك: ﴿**إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾[الأنفال: ٧٣].

(٣) أسلوب السورة وبناؤها اللغوي:

إن الحديث عن القتال والتحريض عليه، والدعوة للإعداد له، والصبر على لأوائه وشِدَّتِه موضوع يَمَسُّ شِغَافَ القلوب ويُحَرِّكُ النفوس، ومن ثَمَّ جاء أسلوب التعبير في السورة متناسباً مع موضوعاتها وأغراضها، وقد غلب على السورة الأسلوب الخطابي الذي يتجه إلى مخاطبة القلوب وتحريك المشاعر وإثارة العواطف، ويتجلى ذلك في كثرة النداء والأمر والنهي في السورة.

أما النداء فقد جاءت صيغة: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ المتبوعة بفعل الأمر أو النهي، ست مرَّات، كما جاءت صيغة: ﴿ **يا أيها النبي** ﴾ ثلاث مرات، وهذه نسبة عالية في سورة تبلغ آياتها خمساً وسبعين آية.

وافتتاح الخطاب بالنداء للاهتمام بما سَيُلْقَى على المخاطبين قصداً لإحضار الذهنِ الوَعْيَ ما سيقال لهم، واختير في تعريفهم عند النداء وصف الإيمان لِيُومِئَ إلى التعليل، أي أن الإيمان هو الذي يقتضي أن يثقوا بعناية الله بهم فيمتثلوا أمره إذا دعاهم[١٦].

وبلغت أفعال الأمر المسندة إلى واو الجماعة عشرين فعلاً مثل: اتَّقُوا، أَطِيعُوا، اعْلَمُوا، أَعِدُّوا، أَصْلِحُوا، اذْكُرُوا، اثْبُتُوا، اصْبِروا، وغيرها. وكذلك تكررت (لا) الناهية ست مرات، والنهي أسلوب من أساليب الطلب كالأمر.

وتكرر في السور ورود (إذ) وبعدها جملة فعلية أو أسمية، نحو: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ** ﴾ [٧]، و ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ** ﴾ [٩]، و﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ** ﴾ [١١]، وقد بلغ عدد مرات ورودها في السورة

---

(١٦) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير ٥٨/٩ و٦٦ و١٢١.



خمس عشر مرة. وقال ابن هشام عن(إذ) في مثل هذا الأسلوب: والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولاً به بتقدير: اذكر(١٧).

وذهب أكثر المفسرين والمعربين إلى إعراب(إذ) في مثل هذا التعبير مفعولاً لفعل مقدر هو (اذكر) أو (أذكروا)(١٨)، على نحو ما جاء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٢٦](١٩)، ويتضاعف بذلك ما ورد في السورة من صيغ الأمر تصريحاً أو تلميحاً.

وقال محمد الطاهر بن عاشور: (لقد أبدع نظم الآيات في التنقل من قصة إلى أخرى من دلائل عناية الله تعالى برسوله ﷺ وبالمؤمنين, فقرنها في قَرَنِ زمانها, وجعل يتنقل من إحداها إلى الأخرى بواسطة (إذ) الزمانية, وهذا من أبدع التخلص, وهو من مبتكرات القرآن فيما أحسب)(٢٠).

وتَكَرَّرَ في السورة أسلوب الشرط الذي يقتضي تعليق حصول أمر بوجود أمر آخر, فيكون فعل الشرط سبباً لجوابه في الغالب, فقد ورد في اثنتي عشرة جملة, ويؤدي أسلوب الشرط معنى الأمر أو النهي, فقوله تعالى: ﴿ يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [٢٩] يتضمن معنى: اتقوا, وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [١٣] يتضمن معنى: لا تشاقوا، وهكذا.

ودراسة أسلوب السورة يحتمل تفصيلاً أكثر مما أشرت إليه، لكن المقام لا يسمح بذلك التفصيل، ثم إن الغرض من هذه الإشارة هو التنبيه إلى تميز أسلوب السورة وغلبة المسحة الخطابية عليه، بما يناسب المعاني التي تحدثت عنها السورة.

---

(١٧) مغني اللبيب ٨٠/١ .

(١٨) ينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ٤٤٤/٢ و ٤٥٤ ، والعكبري: التبيان ٦١٧/٢ ، والسمين الحلبي : الدر المصون ٥٦٤/٥ و٥٦٥ ، والآلوسي: روح المعاني ١٧١/٩.

(١٩) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز ٧٩ .

(٢٠) التحرير والتنوير ٣٥/٩ .



(٤) قراءتها لتثبيت المقاتلين:

ولما كانت سورة الأنفال كلُّها حَثاً على القتال، وحَضاً على الثبات، وما في أسلوبها من تكرر النداء للذين آمنوا، وتكرر أسلوب الطلب بصورة المتعددة: اتخذها المسلمون الأولــون- رضوان الله عليهم – نشيداً حربياً يتلونه إذا اشتد الكرب وحَمِيَ الوَطِيسُ[٢١] .

وذكر أهل التأريخ أن المقداد بن عمرو[٢٢] كان يدورُ على الناس في معركة اليرموك فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد[٢٣]، وقال الطبري في تلك المعركة: (وكان القارئ المقدادَ، والــسُّنَّةُ التي سَنَّ رسولُ الله ﷺ بعدَ بدر ان تُقْرَأَ سورةُ الجهاد عند اللقاء، وهي الأنفال، ولم يزل النــاس بعد ذلك على ذلك)[٢٤].

وذكر الطبري أن سورة الأنفال كانت تُقْرَأُ على كتائب الجيش الإسلامي التــي اشــتركت فــي معركة القادسية أيضاً، فقال: (لمَّا صلَّى سعدٌ الظهر أَمَرَ الغلام الذي كان ألزمه عمر إياه – وكان مــن القراء- أن يقرأ سورة الجهاد، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم، فقرأ على الكتيبة الذين يَلُونَــهُ ســورة الجهاد ، فقُرِئَتْ في كل كتيبة، فهَشَّت قلوبُ الناس وعُيُونُهم، وعرفوا السكينة مع قراءتها... لَمَّا فَــرَغَ القرَّاءُ كَبَّرَ سعدٌ ، فكبَّرَ الذين يَلُونَهُ، وكَبَّرَ بعضُ الناس بتكبير بعض، فتَحَشْحَشَ الناس [أي: تحركوا]، ثم ثَنَّى فاستتم الناس، ثم ثَلَّث فبَرَزَ أهلُ النَّجدَاتِ فأَنْشَبُوا القتالَ...)[٢٥]

وفي رواية الطبري السابقة بيان لأثر قراءة سورة الجهاد على المقــاتلين ، حــين تَهِــشُّ القلوبُ، وتَذْرِفُ العيون، وتتنزَّلُ السكينة، وهذه الآثار ثمرة لتربية سابقة تربَّى عليها الجند قبل أن يقفوا في سوح القتال، وسوف نحاول استجلاء المواعظ التربوية في السورة فــي المباحــث الآتية ، تلك المواعظ التي حركت نفوس المقاتلين حين سمعوها ودفعتهم إلى القتال.

إن سورة الجهاد هي هي، ويمكن أن تُحْدِثَ التأثيرَ نفسه في نفوس المقاتلين إذا كانوا قــد تربوا تربية إيمانية صحيحة قبل مواجهة العدو، أما مجرد قراءة السورة علــى أنــاس قلــوبهم فارغة من الإيمان والشوق إلى فراديس الجنان فإنها لن تحــول دون فــرارهم وتــوليهم أمــام عدوهم، وتركهم أسلحتهم ومعداتهم جاثمة في أرض المعركة.

---

[٢١] حسن البنا : رسالة الجهاد ص ٢٧٥.

[٢٢] يُعرف بالمقداد بن الأسود، لأن الأسود بن عبد يغوث الزهري تَبَنَّاه، وهو صحابي جليل قديم الإسلام، شهد بدراً، والمشاهد كلها بعد ذلك، وكان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار من أصحاب النبي ﷺ وتوفي سنة ٣٣هــ عن سبعين سنة (ينظر: ابن عبدالبر: الاتيعاب٤/١٤٨٠- ١٤٨٢).

[٢٣] ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٨٠.

[٢٤] تاريخ الطبري ٣/٣٩٧.

[٢٥] المصدر نفسه ٣/٥٣٦.



المبحث الأول: بيانُ مظاهرِ مَعِيَّةِ الله تعالى للمؤمنين

إن الدرس الأعظم الذي دلَّت عليه سورة الأنفال هو التأكيد على أن المسلمين لم يكونوا وحدهم في المعركة، فلم يكونوا يقاتلون المشركين بعدَّتهم المادية الضعيفة وعَدَدِهم القليل فقط، وإنما كان مَدَدُ السماء يتنزل عليهم، وملائكة الرحمن تُثَبِّتُهم، وتُلقي الرُّعْبَ في نفوس أعدائهم.

إن النصر العظيم الذي تحقق في معركة بدر تمخَّض عن اجتماع أمرين رئيسين:

الأول: المعنويات العالية للصحابة.

والآخر: التأييد الإلهي لهم.

وسوف أُوضح في هذه الصفحات تجليات هذين الأمرين في معركة بدر.

أولاً: المعنويات العالية للصحابة

المعنويات هي: القوى الكامنة في داخل الإنسان، التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل، والتفكير بعزم وشجاعة، مهما اختلفت الظروف المحيطة به[١].

إن المعنويات عامل مهم من عوامل النصر، بل هي أهم عوامل النصر على الإطلاق، وهي التي تصون العُدَّة وتجعل لها فاعليتها في يد الجيش[٢]، ولم يقلل تطور الأسلحة في العصر الحديث من أثر المعنويات في النصر ، فإنها بقيت تحتل ٥٠%، والنصف الآخر للقوة المادية[٣].

إن المعنويات العالية التي كان يتحلَّى بها المسلمون في معركة بدر هي من أهم أسباب نصرهم في تلك المعركة الحاسمة[٤].

إنَّ تلك المعنويات الراسخة في نفوس المقاتلين لها مظاهر, كما أن وراءَها عوامل نَمَّتها في نفوسهم, فما مظاهرها في جيش الصحابة في بدر, وما عوامل بنائها ؟

أما مظاهر تلك المعنويات العالية في جيش الصحابة الذين اشتركوا في معركة بدر فإن كتب التاريخ والسيرة والحديث النبوي تعطينا صوراً متعددة لها, إلى جانب ما تحلَّى به أولئك الجند من الطاعة, والصبر, والثبات، والشجاعة, ومنها:

١. **التسابق للخروج إلى الغزوة:**

نَدَب رسولُ الله ﷺ المسلمين للخروج, فأسرع من أسرع, حتى إنْ كان الرجل ليُساهِمَ[٥] أباه في الخروج, فكان ممن سَاهَمَ سعيد بن خيثمة وأبوه في الخروج إلى بدر, فقال سعد لأبيه: إنه لو كان

---

(١) ينظر: محمود شيت خطاب: الإسلام والنصر ص ١٦ وص٣٢٠، والمعجم العربي الأساسي ص ٨٧٤.

(٢) محمود شيت خطاب: الإسلام والنصر ص٢٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٣-١٤.

(٤) ينظر: محمود شيت خطاب: الإسلام والنصر ص٨٤, وعماد الدين خليل: دراسة في السيرة ص١٨٦.

(٥) أَسْهَمَ وساهم بينهم, أي: أقرع, وأسهموا: اقترعوا وكذلك تساهموا. (ينظر: لسان العرب ١٥/٢٠٠ سهم).



غيرُ الجنة آثرتك به, إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا! فقال خثيمة: آثرني وأقم أنت مع نسائنا، فأبى سعد، فقال: خيثمة: إنه لابد لأحدنا أن يُقيمَ، فاستَهَمَا، فخرج سَهْمُ سعد، فَقُتِلَ ببدر[٦] رضي الله عنه، وعن أبيه الذي خرج إلى معركة أحد فاستشهد فيها أيضاً.

وتَسَابَقَ الشبابُ للخروج مع رسول الله ﷺ فلما عَسْكَرَ بجيشه خارج المدينة، يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان، عَرَض المقاتلة، فعرضَ: عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خَديج، والبَراء بن عازب، وأُسيد بن ظُهْيرٍ، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، فردَّهم ولم يُجزْهم، لصغر أعمارهم.

قال سعد بن أبي وقاص: رأيت أخي عُمَيْر بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يتوارى، فقلت: ما لكَ يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ ويستصغرَني فَيَرُدَّنِي، وأنا أُحِبُّ الخروج، لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال: ارجع! فبكى عُمَير، فأجازه الرسول ﷺ فَقُتِلَ ببدر وهو ابن ستَّ عشرةَ سنةَ[٧].

٢. الاستعداد لخوض البحار وقطع الفيافي والقفار:

لمَّا دنا رسول الله ﷺ إلى بدر استشار الناس، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال:)يا رسول الله، امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لكَ كما قالت بنو إسرائيل لنبيِّها: ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ [المائدة:٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بِرْك الغِماد[٨] لسرنا معك).

ثم قام سعد بن معاذ فقال: (والذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخظناه معك، ما بقى منا أحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً، إنا لصبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يُريك منا ما تقرُّ به عينك، فَسِرْ بنا على بركة الله)[٩].

---

[٦] الواقدي: المغازي ٢٠/٢، وابن عبد البر: الاستيعاب ٥٨٨/٢.

[٧] ينظر: الواقدي: المغازي ٢١/٢.

[٨] برك الغماد: موضع في الطريق من مكة إلى اليمن ، على ساحل البحر ، وهو على بضع ليال من مكة(ينظر: الواقدي: المغازي ٤٨/٢ ، وصفي الدين البغدادي مراصد الاطلاع ١٨٧/١، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم٢٧٦/٢) .

[٩] ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٦١٥/١، والواقدي: المغازي ٤٨/٢-٤٩، وأكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣٥٨/٢- ٣٥٩.



٣. الإقدام على خوض غمار المعركة:

لَمَّا حانت ساعة المعركة خرج رسول الله ﷺ إلى الناس يُحَرِّضُهم، وقال: "**والـذي نفـسُ محمد بيده لا يقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقْتَلَ صابراً محتسباً، مقبلاً غير مُدبر، إلاَّ أدخله الله الجنة**"، وفي رواية أنه قال: "**قوموا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها السموات والأرض**"، فقال عُمَيْرُ بن الحُمَام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله: جنةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرض؟ قال: "**نعم**"، قال: بَخٍ بَخٍ[١٠]، فقال رسول الله ﷺ: "**ما يحملك على قولك: بخٍ بخٍ**؟ قال: لا والله يا رسول الله إلاَّ رجاءَةَ أن أكونَ من أهلها، قال: "**فإنك من أهلها**"، فأخرج تَمَرَاتٍ من قَرَنِه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حَيِيتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِلَ[١١].

وروى ابن عبد البر أن عُمَيْرَ بن الحُمَام أخذ السيف، فقاتل القوم وهو يرتجز ويقول[١٢]:

ركضاً إلى الله بغيرِ زادِ
إلاَّ التُّقَى وعَمَلِ الرَّشَادِ
والصَّبْرَ في اللهِ على الجهاد
وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشَادِ

٤. غلبةُ رابطةِ الإيمانِ رابطةَ القربى:

التقى في معركة بدر المهاجرون بأقاربهم من مشركي مكة, فالابن يلقى أباه, والأخ يلقى أخاه, فلم تمنعهم أواصر القربى من قتلهم لأن مصلحة العقيدة فوق كل آصرة وارتباط[١٣].

وحين استشار رسول الله ﷺ أصحابه في أسرى بدر قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أرى أن تمكنني من فلان, نسيبٍ كان لعمر فأضربَ عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه,

---

[١٠] بَخٍ: كلمة تقال عند تعظيم الإنسان، وعند التعجب من الشيء، وعند المدح والرضا بالشيء، وتُكَرَّرُ للمبالغة (ينظر: ابن الأثير: النهاية ١٠١/١، ولسان العرب ٤٨٣/٢ بخ).

[١١] ابن هشام: السيرة النبوية ٦٢٧/١ ومسند الإمام أحمد (رقم الحديث ١٢٤٢٥ ص ٨٥٣) ، وصحيح مسلم (رقم الحديث ١٩١ ص ٧٨٩) ، وأكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣٦٢/٢.

[١٢] الاستيعاب ١٢١٤/٣.

[١٣] ينظر: أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣٧١/٢ .



وتمكن حمزة من فلان, أخيه فيضرب عنقه, حتى يعلمَ الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين, فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها)[١٤].

وقَتَل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة, وقال: (ولا أعتذر من قتل مشرك)[١٥], والتقى أبو بكر الصديق ﷺ مع ابنه عبد الرحمن وهو في صف المشركين، قبل إسلامه, وقال له: (أين مالي يا خبيث؟، فقال عبد الرحمن:

لم يَبْقَ غيرُ شِكَّةٍ ويَعْبُوب وصارِمٌ يَقْتُلُ ضُلَّالِ الشِّيب[١٦]

وأُسِرَ يوم بدر أبو عَزيز بن عُمَير بن هشام أخو مصعب بن عمير, وكان مصعب صاحب اللواء يوم بدر, وأبو عَزيز صاحبُ لواء المشركين, ومرَّ به أخوه مصعب ورجلٌ من الأنصار يَشُدُّ يديه, فأوصاه بأن يشدَّ الوثاق, قال: إن أمَّهُ ذات متاع لعلَّها تفديه منك, فقال له أبو عزيز: يا أخي هذه وَصَاتُك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك[١٧].

أما العوامل التي كوَّنت تلك المعنويات التي كان الصحابة يتحلون بها فهي تتخلص في التربية القرآنية في مدرسة النبوة, التي غرست في قلوبهم عقيدة لا إله إلا الله, فقد أمضى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد ويرسخ العقيدة في نفوس المؤمنين, ولم تنزل آيات الأحكام إلا في المدينة, وبعد أن تمكنت العقيدة من نفوسهم أُذن لهم في القتال ومجاهدة الكفار, وكانت معركة بدر أول اختبار لهم مع المشركين في سوح القتال.

إن سورة الأنفال لم تكن قد نزلت يوم وقعت معركة بدر, لكن هذه السورة سجَّلت جانباً من أحداث تلك الغزوة, والظروف التي اكتنفتها, فالنتائج الباهرة التي حققها الصحابة في تلك المعركة كانت ثمرةً لتربية طويلة تجلت في تلك الروح المعنوية العالية التي جعلتهم يقدمون على المعركة من غير تردد, ويتلقون صولة الأعداء بثبات, وجعلت شبابهم يسابقون الشيوخ في الخروج والمشاركة في القتال.

ولاشك في أن تلك التربية الإيمانية التي تتابعت تنميتها بالقرآن بعد معركة بدر كانت تقف وراء انتصارات المسلمين في معارك الفتوح, وكذلك كانت في جميع معاركهم الفاصلة, وانظر إلى قول ابن كثير في ما حققته تلك التربية: وقد كان للصحابة –رضي الله عنهم –في باب الشجاعة والائتمار بما

---

[١٤] مسند الإمام أحمد (رقم الحديث ٢٠٨ ص٤٠), وصحيح مسلم (رقم الحديث ١٧٦٣ ص٧٣٢, وصحيح ابن حبان (رقم الحديث ٤٧٧٣ ص٨٣٠)، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٧٦/٢.

[١٥] ينظر: الواقدي: المغازي ٩٢/٢ .

[١٦] ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٦٣٨/١, وابن عبد البر : الاستيعاب ٨٢٤/٢، والشِّكَةُ: السلاح , واليعبوب : الفرس الكثير الجري, والصارم : السيف القاطع .

[١٧] ينظر: الواقدي : المغازي ١٤٠/١، وأبو الحسن الندوي : السيرة النبوية ص٣١٣.



أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد من بعدهم، فإنهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته في ما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأمم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش، وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، إنه كريم وهاب"[١٧ب].

وعلى الرغم من تغير الأحوال، وتبدل الزمان، فإنه يمكن أن تتحقق النتائج ذاتها إذا ما تربى الجند خاصة وجمهور المسلمين عامة تلك التربية الإيمانية, فلم يكن النصر في معركة بدر – وغيرها من معارك الإسلام الفاصلة – حادثاً فردياً, إنما كانت سُنَّةً قابلة للتكرار, فمهما اجتهدنا في دراسة تلك المعركة وتصوير روعتها كواقعة مفردة يبطل مفعولها, لأنه يحولها إلى حادثة فريدة غير قابلة للتكرار فيضيع رصيدها المذخور للأمة المسلمة في تاريخها المقبل كله, وتضيع قوتها الدافعة لأي جيل من أجيال المسلمين يريد أن يستأنف الطريق[١٨].

ثانياً: التأييد الإلهي للصحابة في معركة بدر

إن الموازين المادية للأشياء تشير إلى ضعف عدة جيش المسلمين وقلة عددهم, تجاه جيش المشركين الذي يفوقهم عَدَداً وعُدَّةً, وإذا أخذ المرء ذلك وحده في الحسبان توقع غلبة المشركين, لكن الذي وقع هو انتصار المسلمين عليهم نصراً عظيماً, ولا شك في أن هناك أشياء أُخرى غير القوة المادية أَثَّرَتْ في سير المعركة ونتائجها, وهي الروح المعنوية العالية التي تحدَّثْتُ عنها في الفقرة، الماضية، وهي ثمرة للإيمان الذي رسخ في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم ومع ذلك كله التأييد الإلهي والرعاية الربانية للقلة المؤمنة التي لو خسرت في هذه المعركة فلن يعبد الله تعالى في الأرض كما ورد في دعاء النبيﷺ وهو يناجي ربه عز وجل، قبل المعركة.

وعبَّرت هذه الآية الكريمة من سورة الأنفال عن تلك الحقيقة: ﴿**وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [٢٦]، وأكدت الآية الأخرى في سورة آل عمران معناها، وهي: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [١٢٣].

وفي سورة الأنفال عدد من الآيات التي أكدت هذا المعنى أيضاً ومنها قوله تعالى:

﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[١٠] .

[١٧ب] تفسير القرآن العظيم ٣٠١/٢ .

[١٨] ينظر: محمد قطب كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص٩٤_٩٥ .



﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [١٨].

﴿وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٩]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦٤]

وتجلَّت في أرض المعركة صور من التأييد الإلهي، منها ما هو ظاهر للعيان، ومنها ما هو مستور وظهرت آثره في ساحة المعركة، وقد عدَّدت آيات السورة آلاء الله تعالى على المؤمنين في تلك المعركة وذَكَّرَتْهُم بنعمه الظاهرة والباطنة فيها، وتكررت عبارة (وإذ)، أي: اذكروا إذ، كما مرَّ في الحديث عن أسلوب السورة وبنائها اللغوي.

ويمكن تقسيم وجوه التأييد الإلهي التي وردت في سورة الأنفال على قسمين: تأييد مادي، وتأييد روحي أو معنوي.

(١) التأييد المادي:

قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾ [١١] .

أصابَ المسلمين في ليلة المعركة النُّعَاسُ، فناموا[١٩]، والنعاسُ حالةُ الآمِنِ الذي لا يخاف، وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم عجيباً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، ولكن الله تعالى امْتَنَّ عليهم بالطُّمَأْنِينَةِ فرقدوا[٢٠].

وفي امتنان الله تعالى عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما: أنْ قوَّاهم بالاستراحة على القيام من الغد.

الثاني: أن أمَّنهم بزوال الرُّعْبِ من قلوبهم[٢١].

فكانت قصة النعاس الذي غَشِيَ المسلمين قبل المعركة قصةَ حالةٍ نفسيَّةٍ عجيبةٍ، لا تكون إلا بأَمر الله وقَدَرِه وتدبيره[٢٢].

وتتضمن الآية السابقة الإشارة إلى نزول الغيث في تلك الليلة، بعد أيام من الحركة في الصحراء، وجاء نزوله على تقدير يتناسب وحاجتهم إلى الماء ليستقوا ويُثَبِّتَ تحت أقدامهم رمال الصحراء، بينما ازداد المطر على معسكر المشركين حتى منعهم من الحركة[٢٣]

---

[١٩] الواقدي: المغازي ٥٤/٢.

[٢٠] ينظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٧٢/٧.

[٢١] المصدر نفسه.

[٢٢] ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن ١٤٨٤/٣.

[٢٣] ينظر: الواقدي: المغازي ٥٤/٢ ، والطبري: جامع البيان ١٩٤/٩.



وبينت الآية حكمة نزول المطر في تلك الليلة وهي قوله تعالى: ﴿ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ [١١]، ففي تلك الليلة كانت هذه الحالة التي يُذَكِّرُ الله بها العصبة المؤمنة التي شهدت بدراً، فالماء في الصحراء مادة الحياة، فضلاً على أن يكون أداة النصر، والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة، ثم هذه الحالة النفسية التي صاحبت الموقف ووسوس بها الشيطان، حالة التحرج من الصلاة على غير طهور لعدم وجود الماء، فيأتي المدد اللإلهي فينزل الماء، فيرتوي القوم، وتسكن القلوب، وتطمئن الأرواح، وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال[٢٤].

قال مجاهد بن جَبْرٍ المكيُّ المفسِّرُ (ت ١٠٢هـ) تلميذ ابن عباس: (أنزله عليهم قبل النعاس، فأطفأ بالمطر الغبار، والْتَبَدَتْ به الأرض، وطابت به الأنفس، وثبتت به الأقدام)[٢٥].

(٢) التأييد الروحي أو المعنوي:

وردت في سورة الأنفال آيات تتحدث عن تنزل الملائكة مدداً للمسلمين في معركة بدر، وهي قوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ [٩] وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [١٠] .

وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [١٢].

بات الصحابة ليلة بدر وهُمْ في وَجَلٍ شديد، فأنزل الله تعالى عليهم الماء من السماء، وغَشِيَهُمُ النعاس حتى ناموا، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويُلِحُّ بالدعاء.

ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عباس، قال حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابهُ ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: "**اللهم أَنْجِزْ لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إن تُهلِكْ هذه العصابةَ من أهلِ الإسلام لا تُعبَدْ في الأرض**" فما زال يهتف بربه، مادّاً يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبوبكر رضي الله عنه فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتُكَ رَبَّكَ، فإنه سَيُنْجِزُ لك ما وعدك، فأنزل الله – عز وجل ـ: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [٩] فأمده الله بالملائكة[٢٦].

---

(٢٤) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن ١٤٨٥/٣.

(٢٥) ينظر: السيوطي: الدر المنثور ٣٢/٤.

(٢٦) صحيح مسلم (رقم الحديث ١٧٦٣ ص ٧٣١ ، وينظر: أكرم ضياء العمري : السيرة النبوية الصحيحة ٣٦٢/٢.



وتشير هذه الآية إلى وجوه من التأييد الإلهي لأهل بدر عن طريق إمدادهم بالملائكة، فهي بشرى لهم بالنصر، وتطمين لقلوبهم وتثبيت لها بأشياء يُلْقُونَهَا في قلوبهم تَقْوَى بها[٢٧].

واختلف المفسرون في قتال الملائكة يوم بدر، فقال كثير منهم: إنها باشرت القتال، وقال بعضهم: لم تقاتل وإنما كانت تُثَبِّتُ المؤمنين وتُطَمْئِنُهُم[٢٨].

وكانت هذه المسألة موضع عناية بعض المفسرين المحدثين: مثل الشيخ محمد رشيد رضا، الذي انتصر للرأي الثاني، وقال: (وعليه المحققون الذين جزموا بأن الملائكة لم تقاتل)[٢٩]. وقال: (إن من قال بقتال الملائكة استند إلى روايات باطلة شوَّهت التفسير وقلبت الحقائق)[٣٠]. وأخذ بعض الكُتَّابِ بهذا الرأي فقال: وبهذه المناسبة فإن أوثق المفسرين يقولون: بأن الإمداد الملائكي لم يكن إمداداً حسيّاً بل إمداداً معنوياً[٣١]، لكني وجدت ابن عطية يقول: (ورُوِيَ في الأشهر أن الملائكة قاتلت يوم بدر)[٣٢]، وقال الشنقيطي: (والذين قالوا: إن الملائكة لم تقاتل يوم بدر لا حجةَ قويةً معهم)[٣٣].

وقد يتحاشى بعض الكتاب المسلمين الإشارة إلى مشاركة الملائكة ببدر، وهذا من مظاهر الهزيمة أمام الفكر المادي الذي لا يؤمن إلا بالمحسوسات، والإيمان برسالة محمد ﷺ يقتضي الإيمان بالملائكة[٣٤].

لكن البحث التفصيلي في كيفيات هذه الأفعال كلها ليس من الجد الذي هو طابع هذه العقيدة، وإن وقفة أمام الدلالة الهائلة لمعية الله سبحانه للملائكة في المعركة، واشتراك الملائكة فيها مع العصب المؤمنة لهي أنفع وأجدى[٣٥].

ويحسن هنا تذكير القارئ بأن تنزل الملائكة في معركة بدر وردت الإشارة إليه في آيات أخرى من سورة آل عمران، وهي قوله: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[١٢٣] إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ[١٢٤] بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ**

[٢٧] ينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ٤٤٧/٢.

[٢٨] ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٣٤/١٥ ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم٢٧٩/٢ .

[٢٩] تفسير المنار ٦١٣/٩.

[٣٠] المصدر نفسه ٦١٤/٩ ، لكن بعض الروايات التي تذكر مشاركة الملائكة في القتال وردت في أصح كتب الحديث ينظر: صحيح مسلم (رقم الحديث ١٧٦٣ ص ٧٣٢).

[٣١] محمود شيت خطاب: الرسول القائد ص ٣٢١.

[٣٢] المحرر الوجيز ص٧٨١.

[٣٣] العذب النمير ١٨٦٧/٤.

[٣٤] أكرم ضياء العمري: السنة النبوية الصحيحة ٣٦٦/٢.

[٣٥] ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن ١٤٨٦/٣.



وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ[١٢٥] وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ[١٢٦] ﴾.

وتضمنت الآيات التي تحدَّثت عن نزول الملائكة في سورة الأنفال الإشارة إلى إلقاء الرُّعْب في قلوب الذين كفروا، وهي قوله تعالى: ﴿ **سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [١٢].

قال الزمخشري: (ولا مَعُونَةَ أعظمَ من إلقاء الرُّعْبِ في قلوب الكفرة)[٣٦].

فاجتمعت بذلك كل عوامل النصر المادية والمعنوية، فانتصرت الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة، وسجَّلت سورة الأنفال مشاهد تلك الوقعة الظاهرة والخفية، ليتذكروا نعمة الله عليهم، ويثقوا بنصر الله تعالى إن هم حافظوا على مستلزمات النصر والتأييد.

---

[٣٦] الكشاف ص ٤٠٦. وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "**ونُصِرْت بالرعب**" (ينظر: صحيح البخاري: رقم الحديث ٢٩٧٧ ص ٥٧١، وصحيح مسلم رقم الحديث ٥٢٣ ص٢١٢).



المبحث الثاني: مُقَوِّمَاتُ النصر ومُعَوِّقَاتُهُ

لَخَّص اللواء محمود شيت خطاب – رحمه الله – أسباب انتصار المسلمين في بدر في أربعة أمور:

١. القيادة الموحدة، المتمثلة بالنبي ﷺ.

٢. التعبئة الجديدة، المتمثلة بأسلوب الصفوف.

٣. العقيدة الراسخة.

٤. المعنويات العالية[1].

إن العقيدة الراسخة، والمعنويات العالية هي نتيجة للتربية الإيمانية الطويلة التي ربَّى عليها النبي ﷺ أصحابه في ظل القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام, ولم يستحق أهل بدر التأييد الإلهي الذي أشرت إليه في المبحث السابق إلا في ظل هذه العقيدة الصحيحة والإيمان الراسخ بها.

إن سورةَ الأنفال تُقَرِّرُ حقيقةً مهمة يجب أن يعيها الجندي المسلم, وهي أن النصر من عند الله, ولا تكفي العدة والسلاح وحدهما في تحقيقه, على نحو ما جاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[١٠], وأكدت ذلك آية في سورة آل عمران تتحدث عن بدر أيضاً, وهي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾[١٢٦].

وبَيَّنَتْ آياتٌ أُخرى مَن يستحق نصر الله تعالى, منها:

﴿ **وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم ٤٧].

﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج ٤٠.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد ٧].

وقد تحدَّث سورة الأنفال حديثاً طويلاً عن صفات المؤمنين الذين استحقوا النصر والتأييد من الله , وبيَّنت ما يجب عليهم أن يفعلوه لمواجهة قوى الشرك والكفر, وما عليهم أن يجتنبوه حتى لا تتخلف سنة الله في النصر, ويمكن تلخيص مستلزمات النصر التي تحدَّث عنها سورة الأنفال في ثلاثة محاور رئيسية هي:

١. تحقيق عوامل النصر المعنوية.

٢. استكمال مقوِّمات النصر المادية.

٣. اجتناب معوِّقات النصر.

---

[1] ينظر: الرسول القائد ص ٧٨– ٨٤ ، وعماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ١٨٤– ١٨٦.



أولاً: تحقيق عوامل النصر المعنوية:

إن القوة المعنوية الراسخة في قلوب المقاتلين من أهم عوامل الانتصار, وهي ثمرة الإيمان العميق, وبيَّنت آيات السورة علامات ذلك الإيمان ومظاهره, من التقوى, والطاعة, وأداء الفرائض, والصبر على الشدائد, والتوكل على الله في جميع الأحوال كما جاء في الآيات الأولى في السورة وهي قوله تعالى:

﴿ فاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[١] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ[٣] أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[٤]﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾{٢٠}.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [٢٤] .

﴿ يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾{٢٩}.

إنَّ أوَّلَ أَمْرٍ إلهيِّ ذُكِرَ في السورة هو تَقْوىَ الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُواْ اللّهَ ﴾ [١] وقد أكدته آيات أُخرى, على نحو ما جاء في الآيات المذكورة, ثم بيَّنَتِ السورة أن الله تعال لا يتخذ وليّاً من غير المؤمنين المتقين: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣٤].

والتقوى حفظ النفس عما يُؤْثِمُ, وذلك بترك المحظور[٢]، أو هي أن يجعلَ العبدُ بينهَ وبينَ مخالفةِ الله – عز وجل – ومعصيته وقاية وحجاباً[٣].

وكلمة (التقوى) مأخوذة من الفعل: وَقَى، يَقِي، وَقْياً، والتاء في أوله بدل من الواو، والواو بعد القاف بدل من الياء[٤]. وقال ابن العربي إن التقوى لها مَحالٌ ، فذكر منها: العين ، والأذن، واللسان، واليد، والرجل، والقلب، وأعظمها القلب[٥]، ولذلك قال رسول الله ﷺ: "**التقوى هاهنا**"، وكان يشير إلى القلب[٦].

---

[٢] ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات ص٥٤٥ .

[٣] ينظر: ابن العربي: أحكام القرآن ٣١٩.

[٤] ينظر: لسان العرب ٢٨٢/٢٠ (وقى).

[٥] أحكام القرآن ٣١٩/٢.

[٦] مسند الإمام أحمد (رقم الحديث ١٦٧٤١ ص ١١٧٠).



ومن ثمرات التقوى الاستجابةُ لله – عز وجل– ولرسوله ﷺ وقد اقترن الأمر بالتقوى في سورة الأنفال بالأمر بالطاعة، فقال: ﴿ **وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [١] ، وتكرر الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾ [٢٠] ثم قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [٢٤].

فالتقوى إذن ليست كلمة تُقال باللسان، فالفعل يُظْهِرُ ما في النفوس، وطاعة الله وطاعة رسوله هي العمدة التي يكون معها النصر، ويَظْهَرُ بها الحق ويسلم معها القلب، وتستمر معها الجوارح على الاستقامة، وذلك بأن يكون عمل المرء كله بالطاعة في امتثال الأمر واجتناب النهي، فإنما يقاتل المسلمون بأعمالهم لا بأعدادهم ، وباعتقادهم لا بأمدادهم(٧).

إن سُنَّةَ اللهِ في نصر المؤمنين المقررة في القرآن الكريم هي سُنَّةٌ مؤكدة يقيناً، ولا تنتقض أو تتزعزع بما يُرَى من واقع المسلمين في كونهم مغلوبين لا غالبين ومقهورين من قبل أعدائهم غير منصورين عليهم، لأن هذه السُّنَّة كتبها الله تعالى للمؤمنين حقاً، لا لمن ادَّعى الإيمان، فعدم الانتصار على أهل الباطل يعني أن الإيمان المطلوب منهم وما يستلزمه هذا الإيمان ويقتضيه من صفات وأفعال غير متحقق فيهم، ومن ثم فإنهم لايستحقون نصر الله الموعود به للمؤمنين، وعليهم أن يراجعوا أنفسهم ويستكملوا نقائصهم حتى يدخلوا في مضمون سُنَّةِ الله تعالى في نصر المؤمنين التي تكفل بها في قوله: ﴿ **وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم ٤٧] (٨).

ومن ثمرات الإيمان الصَّبْرُ، وهو حَبْسُ النَّفْس عندَ الجَزَعِ(٩)، وجاءت سورة الأنفال تأمر بالصبر لأن كمال أمر الجهاد مَبْنِيٌّ على الصبر(١٠)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [٤٦], وأكدت ذلك الآية الأخرى: ﴿ **وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [٦٦], ونظراً لِمَا للصبر من أثر في ثبات المقاتلين فإن الله تعالى جعل على المئة من المؤمنين الصابرين أن يصمدوا أمام مئتين من عدوهم، هذا بعد أن خفف عنهم، فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ[٦٥] الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [٦٦]، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة

(٧) ينظر: ابن العربي: أحكام القرآن ٣٤٠/٢.

(٨) ينظر: ابن العربي: أحكام القرآن ٣٤٠/٢.

(٩) لسان العرب ١٠٨/٦ صبر.

(١٠) الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٧٨/١٥ .



تأمر بالصبر وتحث عليه, أذكر منها قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

ومن دعائم الصبر ذِكْرُ الله, قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ** ﴾ [الأنفال ٤٥], لأنَّ ذكره – عز وجل – يعينُ على الثبات على الشدائد[١١].

ثانياً: استكمال مقوِّمات النصر المادية:

إن شوكةَ الكُفْر لا يَخْضِدُهَا إلا قوَّةٌ تقابلها, وإنَّ قُوَّةَ النفوس وحدَها غير كافية في ردِّ العدوان , فلا بُدَّ من قوة مادية تكون في يد المدافعين عن الحق, ومن ثَمَّ جاءت سورة الأنفال تَحُثُّ المؤمنين على إعداد القوة, وتَدَارُكِ ما فات منهم في معركة بدر , حين خرجوا في عُدَّةٍ قليلة[١٢], وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال٦٠].

والخطاب في الآية لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم, لأن ما يُراد من الجماعة إنما تقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها[١٣].

قال الفخر الرازي إن الاستعداد للجهاد بكل ما يكون سبباً لحصول القوة فريضةٌ, إلا أنه من فروض الكفايات[١٤].

وذهب جمهور المفسرين إلى أن المقصود بقوله: ﴿ **مِّن قُوَّةٍ** ﴾ العموم، فيشمل ذلك أنواع عُدَدِ الحرب ولوازمها على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

قال ابن عطية: (وذهب الطبري إلى عموم اللفظة[١٥].... وهذا هو الصواب, والخيل والمركوب في الجملة, والمحمول عليه من الحيوان, والسلاح كله, والملابس الباهية, والآلات, والنفقات كلها داخلة في القوة, وأُمِرَ المسلمون بإعداد ما استطاعوا من ذلك)[١٦].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: (على أن لفظ الآية أدل على العموم لأنه أمر بالمستطاع موجَّهٌ إلى الأمة في كل زمان ومكان كسائر خطابات التشريع حتى ما كان منها وارداً في سبب معين, ومن قواعد الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب, فالواجب على المسلمين

---

[١١] ينظر: ابن العربي: أحكام القرآن ٣٣٦/٢ , والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٣/٨ .

[١٢] ينظر: أبو حيان: البحر المحيط ٥١١/٤ .

[١٣] ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٤٤/٩ .

[١٤] التفسير الكبير ١٩١/١٥ .

[١٥] ينظر: جامع البيان ٣٢/١٠ .

[١٦] المحرر الوجيز ص٨١٢ .



في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطيارات والمناطيد, وإنشاء السفن الحربية بأنواعها, ومنها الغواصات التي تغوص في البحر, ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب, بدليل: ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب)[١٧].

وفي الآية إشارة إلى الحكمة من إعداد القوة, وذلك في قوله: ﴿ **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾, ورَهَبَ الشيءَ: خَافَهُ, وأَرْهَبَهُ: أخافه وفَزَّعَهُ[١٨].

قال الفخر الرازي: (ثم إنه تعالى ذكر ما لأجله أمر بإعداد هذه الأشياء, فقال: ﴿ **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾, وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم, وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة:

أولهما: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام.

وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية.

وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعياً للإيمان.

ورابعها: أنهم لا يعينون سائر الكفار.

وخامسها: أن يصير ذلك سبباً لمزيد الزينة في دار الإسلام)[١٩].

وفي الآية حث على إنفاق المال في إعداد القوة, وذلك في قوله عز وجل: ﴿**وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** ﴾, قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة الحرب من سلاح أو حِرَابٍ أو كُرَاعٍ, أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله من المشركين يُخْلِفْهُ الله عليكم في الدنيا, ويَدَّخِرْ لكم أجوركم على ذلك عنده, حتى يُوَفِّيكُمُوهَا يوم القيامة)[٢٠].

أما الذين كفروا فإنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل, ثم تكون نفقتهم عليهم حسرة في الدنيا, وندامة وخسراناً في الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنفال٣٦].

---

[١٧] تفسير المنار ٦٢/١٠ , وينظر: ابن العربي : أحكام القرآن ٣٤٢/٢ , والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٥/٨ , وعبد الكريم زيدان : السنن الإلهية ص٦٦ , والشنقيطي: العذب النمير ٢٠٣٤/٥ – ٢٠٣٩ .

[١٨] لسان العرب ٤٢٠/١ – ٤٢١ رهب.

[١٩] التفسير الكبير ١٩٢/٥ .

[٢٠] جامع البيان ٣٣/١٠ .



ثالثاً: اجتنابُ مُعَوِّقَاتِ النَّصْرِ

على المؤمنين مع إعداد القوة والعيش في ظلال الإيمان تجنب عوائق النصر وسَدُّ منافذ الخلل في الصف، وغلق مسارب الشيطان التي يتسلل منها لتخريب وحدة الجماعة وإضعاف صمودها بوجه الأعداء، وقد تحدثت آيات في سورة الأنفال عن عدد من تلك العوائق، منها:

(١) الاختلافُ والتنازعُ:

نَهَى اللهُ عزَّ وجلَّ المؤمنين عن التفرق، وأمر بالاعتصام بدين الله، فقال: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ [آل عمران ١٠٣]، وقال في سورة الأنفال: ﴿ **وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [٤٦].

قال ابن العربي: (وهذا أمر عظيم في المعقول والمشروع... فإذا ائتلفت القلوب على الأمر استَتَبَّ وُجُودُهُ، واستمرَّ مَرِيرُهُ، وإذا تخلخل القلب قَصُرَ عن النظر، وضَعُفَتِ الحواس عن القبول، والائتلافُ طُمَأْنِينَةٌ للنفس وقوَّةٌ للقلب، والاختلاف إضعافٌ له فتضعفُ الحواس فتقعدُ عن المطلوب، فيفوتُ الغَرَضُ، وذلك في قوله: ﴿**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ** ﴾، وكنَّى بالريح عن اطِّراد الأمر ومَضَائِهِ بحكم استمرار القوة فيه والعزيمة عليه، وأتبع ذلك بالأمر بالصبر الذي يَبْلُغُ العَبْدُ به إلى كُلِّ مُتَعَذَّرٍ بوعده الصادق في أنه مع الصابرين)[٢١].

(٢) التَّوَلِّي يومَ الزَّحْفِ:

ومن معوقات النصر والفتن المهلكة التولي يوم الزحف، فقد أمر الله – عزَّ وجلَّ – بالثبات عند لقاء العدو فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال٤٥]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ** [١٥] **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الأنفال١٦].

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: (وإنما حرَّم الله الفرار في وقت مناجزة المشركين ومجالدتهم وهو وقت اللقاء, لأن الفرار حينئذ يوقع في الهزيمة الشنيعة والتقتيل, وذلك أن الله أوجب على المسلمين قتال المشركين, فإذا أقدم المسلمون على القتال لم يكن نصرهم إلا بصبرهم وتأييد الله إياهم, فلو انكشفوا بالفرار لأعمل المشركون الرماح في ظهورهم فاستأصلوهم, فلذلك أمرهم الله ورسوله بالصبر والثبات)[٢٢] .

---

(٢١) أحكام القرآن ٣٤١/٢.

(٢٢) التحرير والتنوير ٤٨/٩ .



وفي الآية مباحث فقهية في ما إذا لقي المسلمون عدوّاً أكثر من ضعفهم عــدداً, أو أكثــر منهم قُوَّةً, هل يجوز لهم التولي غير متحيزين إلى فئة أو غير محترفين لقتال, ولا يتسع المقــام لذكرها ولا تدعو الحاجة هنا إلى إيرادها[٢٣].

(٣) الرِّياءُ والبَطَرُ:

نَهَى الله عزَّ وجلَّ أن يكون المؤمنون كالكفار الذين خرجوا من مكة في جيش كبير لإنقاذ قافلــة التجارة التي عاد بها أبو سفيان من الشام, فلمَّا سلِمَتِ القافلة رفض أبو جهل أن يعود بهم وقــال : (لا واللهِ, لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً – وكان بدر موسماً من مواسم العرب في الجاهلية, يجتمع لهم به سوق كل عام – فنُقِيمُ عليه ثلاثاً, فنَنْحَرُ الجُزُرَ, ونُطعمُ الطعام, ونسقي الخمر, وتعزفُ علينا القيــان, فلــن تزال العرب تهابنا أبداً)[٢٤]، فَسُقُوا كؤوس المنايا، وناحت عليهم النوائح.

فأنزل الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَــاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [٤٧], وكان هدف المــسلمين مــن القتال هدفاً سامياً عَبَّرَتْ عنه الآية الكريمة: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الأنفال٣٦].

(٤) اجتنابُ الفِتَنِ:

الفِتْنةُ: الابتلاءُ والامتحانُ والاختبارُ, والفتنةُ اختلافُ الناسِ بالآراء, والفتنةُ الضَّلالُ والإثْــمُ[٢٥], وقد حذَّر الله تعالى المؤمنين من الفتنة في سورة الأنفال بقوله: ﴿ **وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُــواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [٢٥] , والمعنى احذروا فتنة إن نزلت بكم لــم تقتــصر على الظالمين خاصة , بل تتعدى إليكم جميعاً وتصل إلى الصالح والطالح[٢٦].

وقال ابن العربي: في تأويل الفتنة ثلاثة أقوال:

الأول: الفتنة بالمنكر, أمرَ الله المؤمنين ألا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم, فيَعُمَّهُمُ العذاب.

الثاني: أنها فتنة الأموال والأولاد, كما قال الله تعالى في الآية الأخرى في سورة الأنفال: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [٢٨].

الثالث: أنها البلاء الذي يُبْلَىَ به الْمَرْءُ [٢٧].

---

[٢٣] ينظر: الشافعي: كتاب الأم ٩٢/٤ , وابن قدامة: المغني ٢٥٤/٩ .

[٢٤] ابن هشام: السيرة النبوية ٦١٨/١ , والواقدي: المغازي ٤٣/٢ , والطبري: جامع البيان ١٦/١٠ .

[٢٥] لسان العرب ١٩٣/١٧ .

[٢٦] الفخر الرازي: التفسير الكبير١٥٤/١٥ .

[٢٧] ينظر: أحكام القرآن ٣١٦/٢ .



فعلى عقلاء الأقوام وأصحاب الأحكام منهم إذا رأوا دبيب الفساد في عامتهم أن يبادروا للسعي إلى بيان ما حَلَّ بالناس من الضلال في نفوسهم, وأن يكشفوا لهم ما هيته وشُبْهَتَهُ وعواقبَهُ, وأن يمنعوهم منه بما أُوتوه من الموعظة والسلطان, ويزجروا المفسدين عن ذلك الفساد حتى يرتدعوا, فإنْ هم تركوا ذلك وتوانوا فيه لم يلبث أن يسري في النفوس وينتقل بالعدوى من واحد إلى غيره , حتى يَعُمَّ أو يكاد, فيَعْسُرَ اقتلاعه من النفوس, وذلك الاختلال يُفْسِدُ على الصالحين صلاحهم, ويُنَكِّدُ عيشهم على الرغم من صلاحهم واستقامتهم , فظهر أن الفتنة إذا حلت بقوم لا تصيب الظالم خاصة بل تَعُمُّهُ والصالح , فمن أجل ذلك وجب اتقاؤها على الكل لأن أضرار حلولها تصيب جميعهم[٢٨].

(٥) موالاة غير المؤمنين:

من عوائق النصر موالاة المؤمنين للكفار, وقد حذَّر الله سبحانه وتعالى من ذلك, فقد جاءت خاتمة سورة الأنفال تتحدث عن هذه القضية, فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْض**﴾ [٧٢].

وقال سبحانه في مقابل ذلك: ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [٧٣].

وتحتمل الولاية في هذه الآيات: النُّصْرَةُ, والميراثُ, لكنَّ سياق الآيات يُـرَجِّحُ أن تكون بمعنى النصرة, وقد قطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين, فجعل المؤمنين بعضَهم أولياءَ بعض, وجعل الكافرين بعضَهم أولياءَ بعض, يتناصرون بدينهم ويتعاملون باعتقادهم.

والفتنة تحصل من مخالطة المسلمين مع المشركين, فإذا لم ينقطع المسلمون عن موالاة المشركين يُخشى على ضعفاء النفوس من المسلمين أن تجذبهم تلك الأواصر وتفتنهم قوة المشركين وعشرتهم, فيميلوا إليهم, فيضعف صف المؤمنين[٢٩].

(٦) الخيانة من عوائق النصر:

والخيانة أن يُؤْتَمَنَ الإنسانُ فلا يَنْصَحَ, وأن يَنْقُضَ العهد في السِّرِّ[٣٠]، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢٧], فمن ضيَّع شيئاً مما أَمَرَ اللهُ به, أو رَكِبَ شيئاً مما نَهَى عنه فقد خان اللهَ ورسولَهُ وضيَّعَ الأمانة[٣١].

---

[٢٨] ابن عاشور: التحرير والتنوير ٧١/٩ , وينظر: عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية ص٧٩.

[٢٩] ينظر: ابن العربي: أحكام القرآن ٣٥٧/٢ , والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥٧/٨ .

[٣٠] الراغب الأصفهاني: المفردات ص١٦٧ , ولسان العرب ٣٠٢/٦ (خون) .

[٣١] ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٣٠٢/٦ (خون) .



الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لِنَتْهَدِيَ لولا أنْ هدانا اللهُ، والصلاةُ والسلامُ على سَـيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلهِ وصحابتهِ أجمعين، وبعد:

فإنَّ مَن يقرأْ سورةَ الأنفالِ ويتأمَّلْ في مضامينِ آياتها يُدْرِكْ سببَ اختيارِ الصحابةِ لها لِتُقْرَأَ على المقاتلين وهم يستعدون لمواجهة جيوش الأعداء، فهي:

(١) تحكي قصة الانتصار العظيم الذي حققه النبي ﷺ وأصحابه في معركة بدر وتَعْرِضُ صوراً من التأييد الإلهي والْمَدَدِ الرباني فيها، مِن نزول الملائكة، ونزول الغيث، والنعاس الذي غشيهم ليلة المعركة، ومن قَذْفِ الرُّعْبِ في قلوب أعدائهم، فَوَلَّوْا هاربين من ميدان المعركة.

(٢) تَكَرَّرَ فيها النداءات الربانية للذين آمنوا، بتقـوى الله، وطاعتـه، وطاعـة رسـوله، وتحريض المؤمنين على القتال، ودعوتهم إلى إعداد العدة اللازمة لذلك، وتحذيرهم من التـولي يوم الزحف ومن الاختلاف وموالاة الكفار، وما ينتظرهم من رضوان الله والدرجات العلى فـي جنات النعيم.

إن قراءة السورة تُجَدِّدُ في النفوس تلك المعاني، وتجعل المقاتلين يحملون على عدوهم وهم يترقبون النصر، ويتوقعون نزول الملائكة، أو ما شاء الله – عزَّ وجلَّ – من صـنوف المـدد الإلهي ما دام هؤلاء الجند قد امتثلوا أمر الله وأخلصوا دينهم لله، وقد قال سبحانه :﴿ **يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّـهُ ذُو الْفَـضْلِ الْعَظِـيمِ**﴾ [الأنفال:٢٩] ولا شك في أن التربية الإيمانية أكبر عوامل النـصر علـى الأعـداء، والقرآن الكريم أهم موارد تلك التربية، وحازت سورة الأنفال القسط الأكبر من ذلك، فهي سورة بدر، وهي سورة الجهاد، لكن الله تعالى: ﴿ **لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيم** ﴾ [الأنفال: ٥٣].

إن هذه الدروس المستخلصة من سورة الأنفال هي جزء يسير مما يمكن أن يُقتبس من هذه السورة المباركة ، وبعضها له امتداد في سور أُخرى من القرآن، لم يتسع البحث للإلمام بهـا، وأدعو الله تعالى أن يكون ما كتبته في هذا البحث صحيحاً، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وسامعه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مصادر البحث

١. الآلوسي (شهاب الدين محمود): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـــاني، الطباعة المنيرية بمصر.

٢. ابن الأثير (المبارك بن محمد): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر محمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣. أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل ، بيت الأفكار الدولية بيروت ٢٠٠٤م.

٤. أكرم العمري (دكتور): السيرة النبوية الصحيحة، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينـــة المنورة ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٥. البخاري (محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، بيت الأفكـــار الدوليـــة، الريـــاض ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦. البغوي(الحسين بن مسعود): تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م= ١٤٢٤هـ.

٧. ابن حِبَّان (محمد بن حبان): صحيح ابن حبان، بيت الأفكار الدولية.

٨. حسن البنا: رسالة الجهاد، ضمن مجموعة رسائل الإمام البنا، دار الدعوة، الإســـكندرية ١٤١١هـ= ١٩٩٠م.

٩. أبو الحسن الندوي: السيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق- بيروت ١٤٢٥هـ=١٩٧٨م.

١٠. أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي): البحر المحيط، دار الفك، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

١١. الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد): المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

١٢. الزجاج (إبراهيم بن السري): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د. عبدالجليل شـــلبي، المكتبة العصرية، بيروت- صيدا ١٩٧٣م.

١٣. الزمخشري (محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فـــي وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م.

١٤. السمين الحلبي (أحمد بن يوسف): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

١٥. ســـيد قطـــب : فـــي ظـــلال القـــرآن ط٤، دار الـــشروق، بيـــروت- القـــاهرة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

١٦. السيوطي(جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر):



أ- الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٧م.
ب- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

١٧. الشافعي (محمد بن إدريس): كتاب الأم ، كتاب الشعب ، القاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.
١٨. الشنقيطي (محمد الأمين) : العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ، اعتنى به خالد بن عثمان السبت ، دار ابن القيم ودار ابن عفان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
١٩. صفي الدين البغدادي (عبد المؤمن بن عبدالحق) : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.
٢٠. ابن الضُّريس (محمد بن أيوب) : فضائل القرآن ، تحقيق غزوة بدير ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.
٢١. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) :
أ. تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف بمصر.
ب. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط ٣ ، البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.
٢٢. ابن عاشور (محمد الطاهر) : التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ ، بيروت١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
٢٣. ابن عبد البر(يوسف بن عبدالله) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٠م.
٢٤. عبدالكريم زيدان (دكتور) : السنن الإلهية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
٢٥. ابن العربي(محمد بن عبدالله) : أحكام القرآن ، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٢٦. ابن عطية (عبدالحق) : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار ابن حزم ، بيروت ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
٢٧. العكبري (عبدالله بن الحسين) : التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٦م.



٢٨. عماد الدين خليل (دكتور) : دراسة في السيرة ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة – دار النفائس ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

٢٩. الفخر الرازي (محمد بن عمر) : التفسير الكبير ، دار الفكر ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

٣٠. القرطبي (محمد بن أحمد) : الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

٣١. ابن كثير(إسماعيل بن عمر) :

أ . البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت.

ب . تفسير القرآن العظيم ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م = ١٤٢٧هـ .

٣٢. ابن قدامة المقدسي (عبدالله بن أحمد) : المغني ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ.

٣٣. محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، دار الفكر ، بيروت.

٣٤. محمد قطب : كيف نكتب التاريخ ، دار الكتاب الإسلامي ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

٣٥. محمود شيت خطاب (اللواء) :

أ. الإسلام والنصر ، دار الفكر ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

ب. الرسول القائد ، ط٢، مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٠م.

٣٦. مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ، بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

٣٧. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعجم العربي الأساسي ، لاروس ١٩٨٩م.

٣٨. ابن منظور (محمد بن مكرم) : لسان العرب ، طبعة بولاق.

٣٩. ابن هشام (عبدالله بن يوسف) : مغني اللبيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٤٠. ابن هشام (عبدالملك) : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

٤١. الواحدي(علي بن أحمد) : أسباب النزول ، عالم الكتب بيروت.

٤٢. الواقدي (محمد بن عمر) : المغازي ، تحقيق د. مارسدن جونس ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.



